حق الجار (١)

عباد الله، إن الله تعالى ختم الرسل برسولنا ﷺ، وختم التشريعات بالتشريع الإسلامي البديع العظيم، الذي يمتد تشريعًا ومنهجًا وحياةً إلى يوم القيامة.

وفي إحدى هذه التشريعات البديعة التي لا توجد في غير التشريع الإسلامي على الإطلاق تظهر أحد ملامح النظام الاجتماعي المتكامل، الذي يحرص على بنيان المجتمع وتماسكه بحيث يقف فيه القوي بجوار الضعيف، والصحيح مع السقيم، والغني مع الفقير.

إن هذا التشريع هو: حق الجيران، والإحسان إليهم، وحفظ حرمتهم

يقول تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ (النساء: ٣٦)، فقد قرن الله حق الجوار بالتوحيد لعظم هذا الحق.

فمن هو الجار؟ قيل: هو الملاصق لبيتك، وقيل: من صلى معك الصبح في المسجد، وقيل: من يسمع النداء، وقيل: حد الجوار أربعين دارًا من كل جانب، والراجح أن حد الجوار يرجع فيه إلى العرف كما قال الألوسي؛ لأن كل ما ورد فيه لفظ الجار مطلقًا ولا ضابط فيه، فيرجع فيه إلى العرف.

فالناس في المدينة عرفهم أن الجيران هم السكان في البيت الواحد، وأما القرية فغير ذلك.

قال أهل العلم الجيران ثلاثة:

- جار مسلم من الأقارب، فله حق الجوار، والإسلام، والقرابة.
- جار مسلم غير قريب، فله حق الجوار والإسلام.
- وجار كافر، فله حق الجوار، وإن كان من الأقارب؛ فله حق القرابة أيضًا.

وقد اهتم العلماء بحق الجوار، حتى إن العلماء خصوا بعض الأبواب في كتبهم بحق الجار، ففي صحيح البخاري رحمه الله: "**بَاب حَقِّ الْجِوَارِ فِي قُرْبِ الْأَبْوَابِ**"، وفي سنن الترمذي رحمه الله: "**بَاب مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْجِوَارِ**"، وفي سنن أبي داود رحمه الله: "**باب فِي حَقِّ الْجِوَارِ**"، والنووي رحمه الله "**حق الجار والوصية به**".

ويقول ابن حجر رحمه الله: (**وَاسْمُ الْجَارِ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ وَالْعَابِدَ وَالْفَاسِقَ وَالصَّدِيقَ وَالْعَدُوَّ وَالْغَرِيبَ وَالْبَلَدِيَّ وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ وَالْقَرِيبَ وَالْأَجْنَبِيَّ وَالْأَقْرَبَ دَارًا وَالْأَبْعَدَ**)[1].

وقد يقول قائل: كيف يكون للكافر حق جيرة وبر وصلة؟ أليس هذا تنازل في الدين؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى؟ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٨٥)؟ ألم يقل سبحانه وتعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة: ١٧)؟ ألم يقل سبحانه وتعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ (المائدة: ٥١)؟

والجواب: نعم، هذه ليست أقوالنا، بل هي كلام الله سبحانه وتعالى، ولكن احذر من الفهم الخاطئ، عليك أن تفرق بين المودة والمحبة وبين البر والإنصاف، فالشرع ينفي المحبة القلبية لهم، ومودتهم، وموالاتهم، ونصرتهم، ولكن المقصود في حق الجيرة هو البر والإنصاف بأن تعدل معهم وتبرهم كما في شريعتنا الغراء، يقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الممتحنة: ٨)، ففرق بين العقيدة والمعاملة.

---

[1] فتح الباري (٤٤١/١٠)، لابن حجر رحمه الله.

تعالوا معي عباد الله في رحلة إيمانية مع رسول الله ﷺ لنعلم ونتعلم كيف يكون الإحسان إلى الجار، وكيف أحبه الشرع الحنيف، وكيف تكون الإساءة إلى الجار وكيف مقتها الله سبحانه وتعالى.

أولًا: جعل الله تعالى الإحسان إلى الجار من الإيمان، فعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، ..**)[1].

وقال رسول الله ﷺ: (**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه: **أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **يَدَهُ فَعَدَّ فِيهَا خَمْسًا فَقَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ؛ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ؛ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ؛ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ؛ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَلا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**)[2].

واعلموا عباد الله أن الله إذا أراد بعبد خيرًا جعله من المحسنين إلى الجيران، فعن عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا؛ عَسَلَهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ، أَوْ قَالَ: مَنْ حَوْلَهُ**)[3]، وعسله معناها: طيَّبَ ثناءَه فيهم، فإن طيَّبَ ثناءه فيهم؛ شهدوا له بالجنة، وإن شهدوا له بذلك؛ فقد فاز، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ ثَلاثَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ بِخَيْرٍ، إِلَّا قَالَ اللَّهِ** عز وجل**: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى مَا عَلِمُوا، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ**)[4].

فانظروا عباد الله، فإن الله عز وجل يبين لنا مقاييس هامة كلها ترتبط بالإحسان إلى الجار.

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٨).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٢٣٠٥).

[3] أخرجه الحاكم رحمه الله في مستدركه (١٢٥٨)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٣٣٥٨).

[4] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٩٢٩٥)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٣٥١٦): حسن لغيره.

فإن أردنا أن نعلم من هو خير الجيران عند الله؛ فلنستمع لهذا الحديث الشريف، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**)[1].

وإذا أردت أن تضع مقاييس للسعادة في الدنيا، فاستمع لهذا الحديث، عن نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ**)[2].

عباد الله الأمر ليس كما تظن بأن السعادة في ابتسامة أو إحسان،

الأمر أنك أطعت الله فأنزل الإيمان في قلبك فشعرت بالسعادة

وإذا أردت أن تضع لنفسك مقياسا لتقيس إحسانك وإساءتك، فاستمع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (**إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ**)[3]، والمقصود بذلك الجيران المنصفون المتقون، وإلا قد يمدح جار سوء جاره لمعصية ارتكبها.

وكذلك عباد الله تجد الشرع الحنيف يحث على مراعاة الجار بالحفاظ على حقه ولو كان معنويًا، والإحسان إليه.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَهَا، فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى جَارِهِ**)[4]، ويقول صلى الله عليه وسلم: (**الْجَارُ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ**[5])[6]؛ أي أحق بالقرب منه.

---

[1] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (١٩٤٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (١٩٤٤).

[2] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (١٥٣٧٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٣٥٥).

[3] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (٤٢٢٣)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٤٢٢٣).

[4] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (١١٧٨٠)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥١٢).

[5] قال الإمام ابن حجر رحمه الله: والسَّقَب بِالسِّينِ المهمَلَة وبِالصَّادِ أَيضًا ويَجُوز فَتح القاف وإسكانها: القُرب والملاصَقَة.

[6] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٢٥٨).

وسألت أمنا عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**)[1].

انظر إلى مراعاة الشرع للجيران، حتى في الطعام ورائحته، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً؛ فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**)[2]، والمرق عادة تكون من اللحم أو من غيره مما يؤدم به، فلا تؤذ الجار الفقير بطيب رائحة طعام لا يستطيع أن يطعمه، وأعط له من طعامك.

يقول القرطبي رحمه الله: (**قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَأَكْثِرْ مَاءَهَا): نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى تَيْسِيرِ الْأَمْرِ عَلَى الْبَخِيلِ تَنْبِيهًا لَطِيفًا، وَجَعَلَ الزِّيَادَةَ فِيمَا لَيْسَ لَهُ ثَمَنٌ وَهُوَ الْمَاءُ**)[3].

وندب الشرع الهدايا بين الجيران للتحاب، ولو كانت الهدايا قليلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ**[4] **شَاةٍ**)[5].

وهكذا عباد الله أخذ الشرع الحنيف يوصي بالجار والإحسان إليه حتى قال صلى الله عليه وسلم: (**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**)[6].

يقول حاتم الطائي:

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ ... وَإِلَيْهِ قَبْلِي تنزل الْقدر

ما ضَرَّ جَارًا لِي أُجَاوِرُهُ ... أَنْ لَا يَكُونَ لِبَابِهِ سِتْرُ

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٢٥٩).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٦٢٥).

[3] تفسير القرطبي (٥/ ١٨٦).

[4] قال الإمام ابن حجر رحمه الله: "فِرسِن" بِكَسرِ الفاء والمهمَلَة بَينهما راء ساكِنَة وآخِره نُون هُو عَظم قَلِيل اللَّحم، وهُو لِلبَعِيرِ مَوضِع الحافِرِ لِلفَرَسِ، ويُطلَقُ عَلَى الشّاة مَجازًا، ونُونه زائِدَة وقِيلَ أَصلِيَّة.

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٥٦٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠٣٠).

[6] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٠١٥)، وراه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٦٢٥).

وها هو ابن المقفع: (**بلغ ابن المقفع أَنَّ جَارًا لَهُ يَبِيعُ دَارَهُ فِي دَيْنٍ رَكِبَهُ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي ظِلِّ دَارِهِ، فَقَالَ: مَا قُمْتُ إِذًا بِحُرْمَةِ ظِلِّ دَارِهِ إِنْ بَاعَهَا مُعْدَمًا، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ثَمَنَ الدَّارِ، وَقَالَ: لا تبعها**)[1].

وقيل: (**عرض محمد بن الجهم دارًا له للبيع بخمسين ألف درهم، فلما حضر الشهود ليشهدوا قال: بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص، وكانت الدار في جوار سعيد بن العاص، فقالوا: وإن الجوار ليباع؟! فقال: وكيف لا يباع جوار من إن سألته؛ أعطاك، وإن سكت عنه؛ ابتداك، وإن أسأت إليه؛ أحسن إليك، قال: فبلغ ذلك سعيدًا، فوجه إليه بمائة ألف درهم، وقال له: أمسك عليك دارك**)[2].

يَلُومُونَنِي إن بِعْتُ بالرُّخْص منزِلي ... ولم يَعْلَمُوا جَارًا هُنَاكَ يُنَغِّصُ

فَقُلْتُ لهم: كُفُّوا الملامَ فإنَّما ... بِجِيرانِها تَغْلُو الديارُ وترْخُص

يقول الحسن البصري رحمه الله: (**ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى، وجاءته امرأة محتاجة، وقالت: أنا جارتك، قال: كم بيني وبينك؟ قالت: سبعة أدؤر؛ فنظر الحسن، فإذا تحت فراشه سبعة دراهم، فأعطاها، وقال: كدنا نهلك**)[3].

---

١ إحياء علوم الدين (٢/ ٢١٣)، للغزالي رحمه الله.

[2] المستجاد من فعلات الأجواد (٤٣)، للقاضي التنوخي رحمه الله.

[3] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣٩٣/١)، لجار الله الزمخشري رحمه الله.